

السيرة - رجال حول الرسول - الدرس (٤٣-٥٠) : سيدنا حكيم بن حزام
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٦-٠٨-١٩٩٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً، وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين، أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات .

لمحة عن حياة حكيم بن حزام :

أيها الأخوة، مع الدرس الثالث والأربعين من دروس سير أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورضوان الله تعالى عليهم أجمعين، وصحابي اليوم سيدنا حكيم بن حزام، هذا الصحابي يبدو أنه الإنسان الوحيد الذي ولد في جوف الكعبة، كانت الكعبة مفتوحة في إحدى المناسبات للزوار، وكانت أمه حاملاً به، فما إن دخلت جوف الكعبة حتى جاءها المخاض، فجيء لها بنطح رداء، وولدت في جوف الكعبة هذا الصحابي الجليل .

هذا الصحابي الجليل قريب أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله تعالى عنها وأرضاها، والنبى عليه الصلاة والسلام زوج عمته، فهو من أقرباء النبي، وكان حكيم بن حزام عاقلاً سرياً، معنى السري يعني شريفاً من عليه القوم، كان عاقلاً سرياً فاضلاً .



كان حكيم بن حزام عاقلاً وشريفاً من عليه قومه بالمناسبة ؛ ما من نعمة ينعم الله على عبد من عباده كنعمة العقل، فمن أوتي عقلاً وفكراً وحكمةً، فقد أوتي خيراً كثيراً، وسوف ترون بعد قليل أن الإسلام مبني على العقل، فمن كان عاقلاً وأريباً وحكيماً، ولم يبادر إلى الإسلام، فأمره عجيب .



حكيم بن حزام كان عاقلاً سريعاً فاضلاً، لذلك سوّده قومه، وأناطوا به منصباً مهماً، هو منصب الرفاضة، فقد كان موكلاً إليه أن يعطي الحجاج المنقطعين ما يحتاجون كي يصلوا إلى بلادهم سالمين، هذا المنصب منصب ديني، وكان حكيم بن حزام موكلاً له هذا المنصب في الجاهلية، كان يُخرج من ماله الخاص ما يرفد به المنقطعين من حجّاج بيت الله الحرام .

وهو من أعرق أسرة، ومن أشرف نسب، ويتمتع بقدرات ذاتية عالية المستوى نادرة .
بالمناسبة؛ تعرفون المخروط، شكل هندسي، كلما ازداد ارتفاع المخروط ازدادت رؤيته من هذا الارتفاع، وكلما ازداد حظك في الدنيا ازدادت مسؤوليتك، فالذي يؤتى عقلاً راجحاً في الدنيا هذا له حساب خاص، والذي يؤتى طلاقة لسان هذا له حساب خاص، والذي يؤتى شكلاً وسيماً فهذا له حساب خاص، والذي يؤتى مالاً وفيراً فهذا له شأنٌ، فكلما ازداد حظك من حظوظ الدنيا ازدادت مسؤوليتك، وازدادت تبعاتك .

كان حكيم بن حزام صديقاً حميماً للنبي عليه الصلاة والسلام قبل البعثة، فهو صديق وقريب، وكان أكبر من النبي صلى الله عليه وسلم بخمس سنوات، وقد تمتع الصحابة بأدب جمٍّ، كان أحدهم إذا سأل:

((أيهما أكبر أنت أم النبي؟ فكان يقول: هو أكبر مني، ولكني ولدته قبله))

لشدة الأدب الذي كانوا يتمتعون به .

كان حكيم بن حزام أكبر من النبي صلى الله عليه وسلم بخمس سنوات، ولا تنسوا أن العمر الزمني هو أتفه أعمار الإنسان، فالإمام الشافعي مات في الخمسين، والإمام النووي مات في الثانية والأربعين، وهناك بعض العظماء ماتوا في الثلاثين، ومع ذلك كانت أعمارهم غنية بالأعمال الصالحة، فكلما ازداد عمرك الصالح كان عمرك ثميناً، وكلما



قَلَّ عَمَلُكَ الصَّالِحِ كَانَ حَيَاتُكَ تَافِهَةً، وَكَانَتْ إِنْسَانًا هَامِشِيًّا، قَالَ تَعَالَى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾

(سورة محمد الآية: ١٢)

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعْهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾

(سورة البقرة الآية: ١٢٦)



كان النبي يبادل حكيم بن حزام وداً بود وصدافة بصدافة

حينما دخل على سيدنا عمر بن عبد
العزير وفد الحجازيين، تقدّمه غلام،
فقال له:

((اجلس أيها الغلام، وليقم من هو أكبر
منك سنًا، فتبسم هذا الغلام، وكان
رئيس الوفد، وقال: أصلح الله الأمير،
المرء بأصغريه؛ قلبه ولسانه، فإذا وهب
الله العبد لساناً ذاكراً، وقلبا حافظاً فقد
استحق الكلام، ولو أن الأمر كما تقول

لكان في الأمة من هو أحقُّ منك بهذا المجلس، -كلام بليغ- العالم شيخ، ولو كان حدثاً،

والجاهل حدث، ولو كان شيخاً))

كان يألف النبي عليه الصلاة والسلام، ويأنس به، ويرتاح إلى صحبته ومجالسته، وكان النبي عليه
الصلاة والسلام يبادل به وداً بود، وصدافة بصدافة، وكذلك المؤمن دمث الخلق، وقد كان النبي قبل
البعثة شخصية جذابة، محببة، ليس في الإسلام غطرسة وغلظة، رقيق الحاشية، لطيف المعشر،
لئِن العريكة، يألف ويؤلف، وهكذا المؤمن، ثم جاءت أصرة القربى، فتوثقت ما بينهما من علاقة،
وذلك حين تزوج النبي عليه الصلاة والسلام من عمته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

متى أسلم حكيم بن حزام، وما الشيء الذي كان يؤلمه ؟

أما الشيء الذي يدعو للعجب، والشيء الذي لا يُصدق، أنّ هذا الإنسان العاقل الفهم، الفطن،
الذكي، صاحب النسب العريق، صديق النبي الحميم وقريبه، حينما جاء الإسلام، وحينما بُعث نبي
الإسلام لم يؤمن به، ولم يصدقه، وبقي على الشرك عشرين عاماً إلى أن فُتحت مكة، فهذا الشيء
عجيب حقاً .

فأنا أيها الأخوة، حين أجد إنساناً تفكيره محدود، وجاهل، وضائع، ومنحرف، وواقع في المعاصي، فهذا شيء طبيعي جداً، لأنّ ضعف التفكير يقود إلى كل هذه الحماقات، ضعف التفكير، التخلف العقلي، ضيق الإمكانيات، ضيق الأفق، يقود لكل حماقة، أما والله الذي لا إله إلا هو يشتد عجبني من إنسان ذكي فهيم، يفهم سريعاً، يستوعب كثيراً، ويكون



منحرفاً، أتساءل: يا رب كيف يجتمع هذا العقل الراجح مع هذا السلوك المنحرف؟ . إنسان يتمتع بإمكانات عقلية كبيرة، لا يستقيم على أمر الله، ولا يطلب الجنة، بل يجعل الدنيا أكبر همّه، ومبلغ علمه، ويبقى في حمايتها، وفي وحلها، وهو ذو العقل الحصيف، هذه مفارقة مزعجة . كان المظنونُ برجلٍ مثل حكيم بن حزام حباه الله بذاك العقل الراجح، ويسر له تلك القربى من رسول الله عليه صلوات الله، أن يكون أول من يؤمن به، وأول من يصدقه، وأول من يهتدي بهديه . الإنسان مخير، على الرغم من راحة عقله وفطانتته، أثر قومه وأثر أن يبقى مع زعماء قريش ومع عليّة القوم ذوي الضلالة .



لكن الشيء الذي يدعو للعجب أيضاً أن هذا الصحابي الجليل أسلم يوم فتح مكة، فما كاد يدخل الإسلام ويتذوق حلاوة الإيمان حتى جعل يعرض بنانه ندماً، ذاق حلاوة الإيمان، وذاق أمن الإيمان، وذاق حلاوة القرب من الله، وذاق لذة التوبة إليه، وذاق لذة الإنابة إليه، وذاق حلاوة الصلح معه، وذاق حلاوة الانضباط، وذاق حلاوة الطاعة، كل ذلك شعر به لما ذاق حلاوة الإيمان ، والنبي ذكر أنّ الإيمان له ذوق وطعم، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال:

((ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ؛
أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا
سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا
لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا
يَكْرَهُ أَنْ يُقَدَّفَ فِي النَّارِ))

[متفق عليه، أخرجهما البخاري ومسلم في الصحيح عن أنس
بن مالك]



هذا الصحابي بعد أن أسلم بعد عشرين عاماً، بعد فتح مكة، وبعدما خاض مع المشركين معركة بدر، ومعركة أحد، ومعركة الخندق، بعد حين طويل، وبعد حقب طويلة أسلم .
الإنسان أحياناً يتعرف إلى الحقيقة، ولكن في سن متأخرة، أين الشباب؟ لقد أمضاه في اللهو، وأين ذهبت طاقةً شبابه؟ وأين حيوية الشاب وإقباله والطاقت التي أودعها الله فيه؟ هذه كلها أنفقتها في المعاصي .

هذا الصحابي جعل يعضّ أصابع الندم على كل لحظة قضاها من عمره، وهو مشرك بالله، مكذب لنبيه .

إليك الحديث الذي دار بين حكيم وولده، وما العبرة منه ؟

أيها الأخوة، فمرة رآه ابنه بيكي، فقال:

((يا أبتاه، ما يبكيك؟ قال: أمور كثيرة، كلها أبكتني يا بني، أولها بَطْءُ إسلامي، مما جعلني أُسْبِقُ
إلى مواطن كثيرة صالحة، حتى لو أني أنفقت ملء الأرض ذهباً لما بلغت شيئاً منها،



-متى؟ بعد فوات الأوان، لو أن الشباب
بالتعبير العام يغبون غبة كبيرة، يعني
أقبلوا على الله، وجاهدوا بأموالهم
وأنفسهم، وطلبوا العلم، وتعرفوا إلى الله،
وقرؤوا القرآن، وأمروا بالمعروف، ونهوا
عن المنكر، وأنفقوا من أموالهم، فانه
يرقيهم درجة درجة .

الوقت ثمين، فإذا لم يكن الإنسان
متزوجاً فعليه أن يستغل العزوبة في

طلب العلم، لأن الزواج مشغلة، فإذا كان للإنسان وقت فراغ فليستغله في حفظ القرآن الكريم، وفي طلب العلم، وفي العمل الصالح، وفي خدمة الحق وأهله، وفي الالتزام بالمنهج الديني - .

ثم قال له: شيء آخر أبكاني، فإن الله أنجاني يوم بدر وأحد، فقلت يومئذ في نفسي: والله لا أنصر بعد ذلك قريشاً على النبي صلى الله عليه وسلم،

-ماذا تستبطلون من هذا الكلام؟ أنه حينما كان يحارب النبي يعرف أنه رسول، ويعرف أنه نبي، ويعرف أنه على حق، ويعرف أنه منصور، هذه مشكلة كبيرة عويصة، تعادي إنساناً، وتعلم أنه على حق، وتنتقص من قيمة إنسان، وتعلم أنه على حق، تشوش على إنسان، وتعلم أنه على حق، وتظعن في إنسان، وتعلم أنه على حق، وتحارب إنسان، وتعلم أنه على حق، فالمعنى أنها مصالح ذاتية، ومآرب خاصة، وتجمعات مصلحة، حينما تعرف أن فلاناً على حق وتحاربه، فهذه مصلحة، لم تعد دعوة إلى الله، بل أصبحت مصلحة مادية، وحفاظاً على مناصب، وحفاظاً على زعامة، وعلى المكاسب، وهذا شيء خطير .

أقول لكم هذه الحقيقة: لو عادت أهل الحق أشد عداوة، وأنت تعلم أنهم على باطل، أهون ألف مرة أن تعاديهم بكلمة، وتعلم أنت علم اليقين أنهم على حق، إذا كان الإنسان لا يعرف فهو معذور، أما الذي يعرف فلا يُعذر .



أيها الأخوة الكرام، نصيحة أزجيها لكم من أعماق قلبي، إياكم أن تقفوا في خندق تعادون به أهل الحق، إياكم أن تحاربوا الله ورسوله، لأنكم في النهاية مهزومون، فحين تحارب الله عز وجل، فأنت تحارب دعوة الحق، وهذه محاربة الله عز وجل، تعرف هذا المسجد فيه إخلاص، وفيه دعوة الحق، فلا تحاربه، ولا تدخل في معركة لا قبل لك بها، وإن لحوم العلماء مسمومة، قال تعالى:

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

(سورة يونس الآية: ٦٢-٦٤)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ

بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ،
وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأَعِيدَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ،
وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاعِدَهُ))

[أخرجه البخاري في الصحيح عن أبي هريرة]



كلما رأيت عالمًا: هذا لا يفهم، من أنت؟ وهذا ليس لي ثقة في نواياه، أنتت إليه لتعلم نواياه؟ ابق في أدبك، ابق ضمن أخلاقك الإسلامية، الدعاة قلة ولو كانوا كثيرين، ترى مدينة فيها خمسة ملايين، الناس الذين يُستفاد منهم يُعدون على الأصابع، وهؤلاء نريد أن نحطمهم، ونتهمهم، وننزلهم على الأرض، ونشكك في دعوتهم؟- .

قال: فما لبثت أن جُرتُ إلى نصره قريش جرًا، سحبوه للمرة الثالثة، فسحبوه إلى معركة الخندق، - والله شيء صعب، والإنسان يتمزق أحياناً أنت تحارب شخصاً على حق، تعرفه نبياً ثم تحاربه؟ إذن حُقَّ له أن يبكي، وأن تفيض عيناه- .

قال: ثم إنني كلما هممت بالإسلام، وآتي النبي مسلماً، نظرت إلى بقايا من رجالات قريش، لهم أسنان وأقدار، متمسكين بما هم عليه من أمر الجاهلية، فأقتدي بهم وأجاريهم .

-اليوم ترى شاباً أبوه وعده ببيت، ووعده بسيارة، وأبوه لا دين له، تراه يؤثر جانب والده، يقول: ليس لي مصلحة في إغضابه، اختلاط، ودخل حرام، وتجارة لا ورع فيها، ومع ذلك يسير في ركب والده، لقد أثر دنياه على آخرته .

في الشام رجل من الغنى بمكان، لو طلبت منه ابنته خمسة ملايين بكلمة يعطيها هذه الملايين، ولا تأكل من طعامه لقمة واحدة، عنده ملهى، وماله كله حرام، تعمل معلمة في إحدى قرى دمشق، وتأكل من عملها، ولا تأكل من مال أبيها، قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمْ اللَّهُ فَانِّ

تُوَفِّكُونَ﴾

(سورة الأنعام الآية: ٩٥)

قال: ويا ليتني لم أفعل، فما أهلكنا إلا الاقتداء بأبائنا وكبرائنا، فلم لا أبكي يا بني))

أيها الأخوة، لا تكن خطيئة لأحد، لا
تكن ضحية لأحد، لا تكن أداة لأحد، لا
تكن أداة رخيصة لأحد، لا تكن منديلاً
يُمسح بك أقدر عملية ثم تلقى، انتبه، لا
تكن أداة للآخرين، هناك أشخاص،
أشبههم بالمنديل الورقي، تُمسح به أقدر
عملية، ثم يُلقى بسلة المهملات، قال
تعالى:



﴿وَأَصْلٌ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾

(سورة طه الآية: ٧٩)

وقال عز وجل:

﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَرَمًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِبِينَ﴾

(سورة القصص الآية: ٨)

وقال:

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ
زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تَطَّعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾

(سورة الكهف الآية: ٢٨)

وقال:

﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا
وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

(سورة لقمان الآية: ١٥)

وقال:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ
أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾

(سورة الممتحنة الآية: ١٣)

أمر عجيب ومدهش !

أيها الأخوة، كما عجبنا نحن من تأخر إسلام حكيم بن حزام، وكما كان يعجب هو نفسه من ذلك
أيضاً، فإن النبي صلوات الله وسلامه عليه، كان يعجب من رجل له مثل حلم حكيم بن حزام وفهمه،
كيف يخفى عليه الإسلام؟ وكان يتمنى له وللنفر الذين هم على شاكلته أن يبادروا في الدخول في
دين الله .



النبى عليه الصلاة والسلام لما أسلم
سيدنا خالد، قال له:

((عجبت لك يا خالد! أرى لك فكراً،

وكنت أرجو ألا يهديك إلا إلى خير))

يعني لماذا تأخرت؟ .

مرة ثانية، إذا أتى الله عبداً عقلاً، وفكراً،
فيجب ألا يغلط، ويجب أن يعرف الحق
في الوقت المناسب، والنبى عليه الصلاة
والسلام في الليلة التي سبقت فتح مكة
قال لأصحابه:

((إن بمكة لأربعة نفر أربأ بهم عن الشرك، وأرغب لهم في الإسلام .

-هناك نقطة دقيقة، إذا كان الإنسان يعصي الله، ولكنه يعصيه وهو متألم، مغلوب على أمره، فهذا
عنده حياءً وخجل مرضي، ضغطوا عليه لكنه متمزق من داخله، فهذا الذي يعصي الله وهو متألم
أشد الألم نرجو له خاتمة طيبة، وهذا معنى قول النبي عليه الصلاة والسلام المروي عن عبد الله بن
مسعود، قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ:

((إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ فِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَقْفَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً
مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ إِلَيْهِ الْمَلَكَ، فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤَمَّرُ بِأَرْبَعِ يَكْتَبُ رِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَعَمَلَهُ وَشَقِيٍّ
أَوْ سَعِيدٍ، فَوَ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا
ذِرَاعٌ، ثُمَّ يَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ
حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، ثُمَّ يَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا))

[متفق عليه، أخرجهما البخاري ومسلم في الصحيح عن عبد الله بن مسعود]

قيل: مَنْ هم يا رسول الله؟ قال: عتاب بن أسيد، وجبير بن مطعم، وحكيم بن حزام، وسهيل بن
عمرو))

أربعة مشركين، لكن النبي عليه الصلاة
والسلام يتوسم فيهم الخير .

بالمناسبة، رأيت رجلاً لا يصلي، وفي
الظاهر لا دين فيه، لكن أخلاقه عالية،
عنده حياءً، وعنده مروءة، وقلبه رقيق،
يحب الخير، وفكره ناضج، فإياك أن
تتأس منه، هذا إنسان فيه خير، احرص



إذا رأيت رجلاً ذو أخلاق عالية فاحرص على هدايته

عليه، اتصل به، قَدَّمَ له كل خدمة، لأنه قريب جداً، فعَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَنْ أَكْرَمَ النَّاسِ؟ قَالَ: أَكْرَمُهُمْ أَتْقَاهُمْ، قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: فَأَكْرَمُ النَّاسِ يُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِي، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَخِيَارُكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَفُهُوا))

[متفق عليه، أخرجهما البخاري ومسلم في الصحيح عن أبي هريرة]

ومن فضل الله عز وجل أنهم أسلموا جميعاً، وأن النبي كان صائباً في نظريته، وأنه كان صادقاً في فراسته، وأنه أوتي نظرة عميقة .

ماذا صنع النبي يوم دخل مكة فاتحاً، وعلام يدل صنعه ؟

أيها الأخوة، وحين دخل النبي عليه الصلاة والسلام مكة فاتحاً، انظروا إلى حكمة النبي ، إنسان له مكانته ومن عليه القوم، عاقل تأخر بالإسلام، فكيف استجلبه؟ أمر النبي عليه الصلاة والسلام مناديه أن ينادي؛ من شهد أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله فهو آمن



جعل الرسول لحكيم شأناً عندما أعلن أن من دخل داره فهو آمن

ومن جلس عند الكعبة فوضع سلاحه فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن، جعل له شأنًا صلى الله عليه وسلم، فأعانه على نفسه، وعلى كبريائه. كانت دار حكيم بن حزام أسفل مكة، ودار أبي سفيان في أعلاها، وكان النبي حكيمًا أيضاً، تقول مثلاً: مَنْ يَدْخُلُ بَيْتَ

في حيِّ المهاجرين من أهل الشام فهو آمن، وأناس آخرون يسكنون في الجهة المقابلة البعيدة، فاجعل لهم بيتاً ثانياً في ذلك الحيِّ أيضاً، بيت بالشمال، وبيت بالجنوب؟ فالنبي عليه الصلاة والسلام، قال:

((من دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن))

فرجم الناس أيضاً .

أسلم حكيم بن حزام إسلاماً ملك عليه لبه، وآمن إيماناً خالط دمه ومزج قلبه، وآلى على نفسه أن يكفر عن كل موقف .

هنا اقتدوا بالعقلاء، فالذي قضى صُيوفاً في المعاصي، وفي هذه الصيفية تاب إلى الله، يخاطب ربه: يا رب، أنا كما أمضيتُ تلك العطل فيما لا يرضيك، والله لأمضينَّ غيرها فيما يرضيك، وما أنفقتُ كثيرَ الأموال على المعاصي والآثام، والله لأنفقنَّ مثلها على الطاعات، وكما صحبتُ أهل الدنيا من أجل دنياهم، والله لأصحبنَّ أهل الإيمان من أجل ديني، فالذي تاب إلى الله عز وجل، وانتقل من طور إلى طور، والذي اصطَلح مع الله، يناجي ربه هذه المناجاة .

آلى على نفسه أن يكفر عن كل موقف وقفه في الجاهلية، أو نفقة أنفقها في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد برَّ بقسمه، فأول شيء فعله دار الندوة، أكبر بناء في مكة، وهو مشهور في التاريخ، هي داره الشخصية، وهي دار عريقة ذات تاريخ، ففيها كانت قريش تعقد مؤتمراتها في الجاهلية، وفيها اجتمع ساداتهم وكبرائهم يأترون برسول الله صلى الله عليه الصلاة والسلام، فأراد حكيم بن حزام أن يتخلص منها، وكأنه أراد أن يرخي ستاراً من النسيان على ذلك الماضي البغيض، فباعها بمئة ألف درهم، فقال له قائل من فتيان قريش:

((لقد بعْتَ مَكْرَمَةَ قريش يا عمّ، فقال له حكيم: هيهات يا بني، ذهبت المكارم كلها، ولم يبق إلا التقوى، دار اجتمعنا فيها، وقرنا فيها قتل رسول الله، أيُّ مَكْرَمَةٍ هذه؟ .

—أحياناً يقول لك إنسان: هذا عملٌ لا يرضي الله عز وجل، عملٌ من أثر أبي، هذا العود من بقايا أعواد أبي، لست محتاجاً إلى هذه السمعة، ولو كان من آثار أبيك، دَعك من كل هذا، والتمس ما يقربك من الله سبحانه— .

قال: **واني لأشهدكم أنني جعلت ثمنها في سبيل الله عز وجل))**



أيؤمن رجلٌ ويسلم ويتوب ولا يغيّر حاله؟ يجب أن نغيّر كل رفاق السوء، إذا كان له رفاق سوء، يجب أن يتخلص منهم جميعاً، هذه اللقاءات الباطلة، هذه الأماكن، هذه الطرقات المزدحمة بالنساء، صار بريئاً منها كلها .

إذا لم يحدث تبدلٌ جذريٌّ، ولم يكن بالمعنى الحديث ثورة في حياتك على كل معصية، وعلى كل مكان سيء، وعلى كل صديق سيء، وعلى كل مخالفة، فليست هذه توبةً، ولا عودة إلى الله تعالى . حجّ حكيم بن حزام بعد إسلامه، فساق أمامه مئة ناقة مجلّلة بالأثواب الزاهية، ثم نحرها جميعاً في سبيل الله، وأطعم لحمها للفقراء .

وفي حجة أخرى، وقف في عرفات ومعه مئة من عبيده، فقدّ كان غنياً، وقد جعل في عنق كل واحد منهم طوقاً من الفضة، نُقِشَ عليه عتقاء الله عز وجل عن حكيم بن حزام . وفي حجة ثالثة، ساق أمامه ألف شاة، وأراق دمها كلها في منى، وأطعم بلحومها فقراء المسلمين تقريباً إلى الله عز وجل، وهذا ليكن الإسلام، ولتكن التوبة إلى الله عز وجل .

ما هي النصيحة التي أرشد بها النبي حكيم، وهل استجاب لهذه النصيحة ؟

بعد غزوة حنين سأل حكيم بن حزام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغنائم فأعطاه، ثم سأله فأعطاه، حتى بلغ ما أخذه مئة بعير، وكان يومئذ حديث عهد بالإسلام، فقال له النبي عليه الصلاة والسلام:

((يا حكيم، إن هذه الأموال حلوة خضرة، فمن أخذها بسخاوة نفس -يعني بعبثة نفس- بورك له فيها، ومن أخذها بإشراف نفس - بطمع- لم يبارك له فيها، وكان كالذي يأكل ولا يشبع))



عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: ((الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَإِبْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غِنَى، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ))

[متفق عليه، أخرجهما البخاري ومسلم في الصحيح عن حكيم بن حزام]

قسم حكيم أن لا يأخذ عطاءً قط وذلك بعد نصيحة الرسول له

فلما سمع حكيم بن حزام ذلك من النبي عليه الصلاة والسلام، قال: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق لا أسأل أحداً بعدك شيئاً .

النبي أعطاه ونصحته، ولكن كانت النصيحة مؤثرة جداً، وعلامة إيمانه الصادق أنه استجاب، وبر حكيم بقسمه أصدق البر، ففي عهد أبي بكر رضي الله عنه، دعاه الصديق أكثر من مرة لأخذ عطاء من بيت مال المسلمين فأبى أن يأخذه، ولما آلت الخلافة إلى الفاروق دعاه مرة ثانية إلى أخذ عطاء فأبى أن يأخذه، فقام عمر في الناس وقال:

((أشهدكم يا معشر المسلمين، أني أدعو حكيماً إلى أخذ عطائه فيأبى))

وظل حكيم كذلك لم يأخذ من أحد شيئاً حتى فارق الحياة .

ما هو المغزى التي يمكن أن نستنبطها من قصة حكيم بن حزام ؟

هذه قصة حكيم بن حزام فيها نقاط
مضيئة، أبرزها أنه إذا آتاك الله عقلاً
وراجحاً، وفكراً ثاقباً، وإمكانات عالية،
ينبغي أن تسرع بك إلى الله، ولا ينبغي
أن تبطئ بك، لأن الحسرة عندئذ تكون
كبيرة، ولأن الإسلام أساسه العقل،
وأساسه الواقع، وأساسه الفطرة، فأني
إبطاء في إسلامك، مع راحة عقلك
فهذا يدعو للعجب العجيب، يعني الذي



أنت فيه يتناقض مع العقل الراجح الذي أعطاك الله إياه، فأرجحكم عقلاً أشدكم لله حياً .
فالنبي عليه الصلاة والسلام جعل العقل حاكماً على القلب، يقول أحدهم: أخي أنا أحب، والحب
ليس بيدي، بل الحب بيدك، أعمل عقلك تحب الله عز وجل، أرجحكم عقلاً أشدكم لله حياً .

والحمد لله رب العالمين